



كلمة العدد

كثيرا ما نردد أو نسمع أن الاسلام دين الانسانية ، وأن الشريعة الاسلامية تضمن للبشرية حاجاتها وضرورتها في كل زمان . ولكن الذين يدركون حقائق هذه الدعوى ويقفون على غوامضها ويغوصون على دقائقها هم قلة قليلة من الناس لا يبلغون عددا كبيرا يعابيه . وأما الاغلبية الغالبة من المسلمين وخاصة الشباب فليس لهم الا أن يرددوا ما سمعوا من هتافات أو مراقهم من النعرات أو مناويع عندهم موقعا حسنا من الأقوال .

ان الاسلام ليس دين الانسانية فحسب ، بل هو دين السموات والأرض . أجل انه دين الكون كله ودين العالمين بأجمعها فكل أسلم لرب السموات والأرض ، وسجدت له الشمس والقمر والدواب ومن في الأرض ، وكل أتوه طائعين . فكل هذه الاشياء الموجودة في هذه الكائنات منقادة لقواعد وضعها خالقها ، ومسخرات تحت نظام وضعه بارئها ، ولا يخرج شى من هذا النظام ولا يحيد عنه قيد شعرة . وكذلك نرى العناصر لا تتخلى عما وضع الله تبارك وتعالى فيها من خاصيات ، ولا يتسرب اليها التغير والتبدل الا بقواعد وأصول كتبها الله لها . .

فهذا هو الاسلام فى الناحية الطبيعية ، ويعمل بهذا الاسلام طوعا أو كرها كل موجود ماسوى الله ، والانسان أيضا يعمل بهذا النوع من الاسلام فى حياته الطبيعية ، حتى الانسان الكافر الجاهل الطاغى العاتى عن أمر ربه مجبول ومكره على أن يسلم لسنة الله رب العالمين فى عاداته اليومية فى مأكله ومشربه وملبسه ومعيشته ، فيضطر الى الأكل والشرب ، ويضطر الى اللباس ليقى نفسه من الحر والقر والصيف والشتاء . فاسلام البشرية لله رب العالمين فى حياتها الطبيعية يقتضى أن تسلم لله فى حياتها الاختيارية وفيما تركها خالقها مختارة ، وجعل أمرها بيدها .

فلذلك اعتبر القرآن الكريم دين الاسلام دين البشرية كلها ودين الانسانية جمعاء . وهذه هى النظرية الطبيعية والنظام الطبيعى الذى يلائم طبيعة الانسان ويوافق فطرته السليمة ، ويفى بحاجاته وضروراته ، وبه يستقم أمرها وتتقوم مقوماتها .

★★★★★

وانظر على العكس من ذلك الى الأديان والمذاهب والنظريات والانظمة الأخرى . فانها لاتفى بحاجات الانسانية كلها وضرورات البشرية بأجمعها . فانظر الى المسيحية مثلا ، لاشك انها تشكل ديانة عالمية ، ويقوم رجالها بالتبشير المسيحى بنشاط واسع فى أنحاء العالم ، ولكنها لاتستطيع أن تصبح نظام الحياة للبشرية كلها ، فانها ليست بنظام للحياة ، انما هى مجموعة بعض المعتقدات والطقوس ولا تعدو تعاليمها من بعض التوضيات الاخلاقية ، ولاتضمن للبشرية نظاماً متكاملًا فى النواحي العائلية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدولية . لأن التعاليم التى نسبها أبناءها الى سيدنا المسيح لاتحتوى

على شى من هذا النوع .

وان شئت فخذ النظرية الشيوعية كمثال . فانك تجد أنها نظام اقتصادى لاغير . والاقتصاد عند أهلها أساس النشاطات البشرية كلها ، وليس عندهم مايمكن أن نسميه بالدين والاخلاق ، فان الدين والاخلاق عندهم أفيون الشعوب . ولايعترفون بحاجات الانسان الروحية وضروراته الماوراء الطبيعية فضلا عن اتيانها وتحقيقها .

★★★★★

فلا بد لدين الانسانية أن يكون كفيلا لجميع مسائل الانسان ، وضامنا لحل سائر قضاياها ، جامعا لكل خير ، مانعا من كل شر ، شاملا لجميع نواحي الحياة البشرية ، ملائما لفطرة الانسان ، ويجب لدين البشرية أن تكون تعاليمه سالحة لكل زمان ومكان ، وأن تكون قواعده ومبادئه الاساسية دائمة ثابتة ، وتكون فروعه وتطبيقاته قابلة للتغيير والتطور ليجمع بين مزايا الثبات والتغيير كليهما ، ويخلو عن نقائصهما وعيوبهما . ويلزم أن يكون دين البشرية ضامنا وكفيلا لكرامة الانسان ، ضامنا للحفاظ على مكانته السامية المحترمة . ولا بد لدين الانسانية أن يدين به أناس يؤمنون بنظرياته الانسانية وأفكاره العالمية ، ولا يؤمنون بالفلسفات القومية والنظريات الضيقة ، ولا يعترفون بالعوائق التى تحول دون الوحدة البشرية ، بل يقاومون كل من أراد تمزيق البشرية وتفريقها الى فرق وطوائف وجعل أهلها شيعا .

وكذلك لا بد لدين يدعى بكونه دينا للبشرية بأسرها أن يكون دينا عالميا وأن لا يبقى محدودا ومنحصرا على طائفة دون طائفة وعلى شعب دون شعب وعلى بلد دون بلد ، بل لا بد من أن يكون له أتباع من جميع الطوائف البشرية ، ويقوم له دعاة فى كل الشعوب ، ويتصدى للدفاع

عنه حماة يجاهدون فى كل بلد من بلاد العالم .
 فاذا كانت هذه هى معايير حققة وموازنين صالحة وصادقة لدين
 الانسانية ونظام الحياة للبشر كله فقل لى بالله هل تصدق هذه المعايير
 الا على دين الاسلام ؟ وهل يطابق هذه الموازين الا نظام الاسلام ؟

★★★★★

ان نظام الاسلام هو النظام الوحيد الذى يطابق الفطرة الانسانية
 مطابقة تامة ، بل هو فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ويؤمن بهذا
 الدين كل من عنده فطرة صحيحة أو من أتى الله بقلب سليم . فانه
 يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وشرع ليتمم مكارم الاخلاق ،
 وتشمل هدايته الربانية كل ناحية من نواحي الحياة البشرية . فانها
 تصلح عقائده الاساسية وآراءه الماوراء الطبيعية ، وهذه الناحية يعالجها
 علم الكلام من العلوم الاسلامية . وينظم الاسلام حياة الانسان
 الفردية والاجتماعية ويخبره بما لنفسه وما عليها ، ويعالج علم الفقه
 هذه الناحية ، ثم يحسن أخلاقه ويطور أدبه ويتمم له مكارم الاخلاق ،
 وهذه الناحية ، يعالجها علم الاخلاق ، أو ماسماه بعض المفكرين
 بالحكمة العملية ، وكذلك يزكى نفسه ويجلى روحه ويوطد صلته بخالقه
 ويخلق فى قلبه التقوى ومخافة الله التى يعتبرها رأس الحكمة ، ويعالج
 هذه الناحية علم الاحسان والتصوف . فكما أن فطرة البشرية وطبيعتها
 جامعة شاملة لنواحي متعددة فكذلك دين الفطرة جامع وشامل جميع
 هذه النواحي .

★★★★★

ولايشك أحدأن هذه الشريعة الغراء صالحة لكل زمان ومكان ،
 فان قواعدها ومبادئها الاساسية دائمة ثابتة لاتقبل التغيير ، فان هذه

القواعد الدائمة والمبادئ الخالدة يتضمنها كتاب الله الخالد الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وتقدم السنة النبوية المطهرة نماذج خالدة لتطبيقات عملية لهذا الدين ، وهى تمثل تفسيراً وتشريعاً لهذه المبادئ الخالدة الربانية والمبادئ الأبدية . ويتضمن علم أصول الفقه الاسلامى أصولاً وقواعد للاجتهد والاستنباط ، وتضمن هذه الاصول والقواعد جانباً تطورياً ومتغيراً من الشريعة الاسلامية والتي تجعلها صالحة لكل زمان ومكان .

وليست الشريعة الاسلامية شريعة جامدة متحجرة ، وانما هى نهج متطور للحياة ويتمشى مع روح كل عصر ، ويهذى كل انسان وكل جيل وكل بلد الى الصراط المستقيم ، فكل جيل وكل بلد يواجه بعض المسائل والمشاكل التى تخص به جنباً الى جنب مع المشاكل الطبيعية التى تواجه كل انسان تواجد على اديم الأرض .

ويحتوى هذا الدين السنن الالهية الابدية التى مازالت تهدى الانسانية منذ فجرها فى هذا الكوكب الأرضى . ولا يتصور أى تغيير أو تعديل فى هذه السنن الأبدية ، فانها تعالج الانسان وتتناول مشاكله بالحل ، فيما أن طبيعة الانسان وفطرته لم يحدث فيها أى تغيير أو تعديل فكيف يمكن أن تتغير الهداية التى تحل مشاكل الانسان الفردية والنفسية والاجتماعية وتهديه الى سواء السبيل ؟

وما زال قالب ذهن الانسان هو نفس القالب الذى كان لقدمائنا ، ومواهبنا الفكرية هى المواهب التى كانت بها يتمتع آباؤنا ، وكذلك الاحوال والاهواء والمتطلبات الأخرى ، وكذلك نمط التفكير وطبيعة الحياة الانسانية ، لم يحدث فى كل هذا فرق جوهري أو تغيير جذري، فنرى مثلاً المعرفات التى كانت تقوم بها أختيار الامم السالفة

وبررتهم تقوم بها أختيارنا وصلحاؤنا وبررتنا ، والمنكرات التى ترتكبها
 أشرار الأمم الغابرة ترتكبها أشرار القرن العشرين أيضا . لم يحدث
 فى هذه الناحية أى فرق ، وانما حدث الفرق فى الاساليب والمناهج .
 فقوم سيدنا لوط عليه السلام كانوا يرتكبون ذلك المنكر الفاحش كما
 يرتكبه أبناء حضارة القرن العشرين ، وكان أصحاب الايكة يخسرون
 فى الميزان والمكيال كما يخسرهما تجار عصرنا الحديث .

★★★★★

وأما كرامة الانسان ومكانته السامية المحترمة فى الكون التى يقرها
 ويعترف بها ويؤكد عليها الاسلام فهذه ميزة يمتاز بها الاسلام على
 سائر الاديان والمذاهب والانظمة الفكرية . فالاسلام يعلن أن الانسان
 خليفة الخالق البارئ فى هذا الكوكب الأرضى ، ومرتبته فى الكائنات
 بعد مرتبة الخالق مباشرة . واتفقت كلمة علماء الاسلام أن البشرهم
 افضل المخلوقات وأشرفها ، وهم أشرف وأفضل من الملائكة أيضا .
 وينادى القرآن الكريم بكرامة الانسان واحترام بنى آدم ، والدعوة
 الانسانية العالمية التى جاء بها الاسلام موجهة الى البشرية كلها
 والانسانية بأسرها ، دون فرق وتمييز ودون تفضيل عنصر دون عنصر ،
 ولون دون لون ، وعرق دون عرق ، وجيل دون جيل . وهذا هو شان
 دين الانسانية .

ومن أعظم الحقائق التى تشهد على انسانية الاسلام أننا لانرى
 بلدا من بلاد العالم بل ومدينة من المدن الا وفيها مسلمون يهدون
 بالحق وبه يعدلون . نرى كثيرا من البلدان ليس فيها شيوعى ، وبلدان
 أخرى لا يوجد فيها اليهود و نرى كثيرا من البلدان والقرى والمدن
 لاهى رأت ولاهى سمعت بهندوكى أو بوذى قط . ولكننا لانرى مدينة

وبلدا يخلو من مسلم يؤمن بالله وبرسوله النبي الأُمى ويشهد على الناس بقوله وبفعله وبحياته بحقانية الاسلام وعدله وضمائه لفوز الانسانية وفلاح البشرية ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .

ويسرى الاسلام فى روح الانسان ويجرى منه مجرى الدم ، فيصبح حياته وروحه وقلبه بحيث لا يمكن التمييز بين دينه وبين روحه ، بين فكره وبين احساساته ، نشاهد أمثلة هذا السريان كل يوم ، ومن ذا الذى لم ير أو لم يسمع أخبار الاضطهاد والمجازر التى عانى ويعانى بها اخواننا المسلمون فى أفغانستان والهند والفلبين والحبشة وغيرها من البلاد ؟ فهل ترك أحد دينه فرارا من هذه الاضطهادات وهذه المجازر ؟ وهذا أكبر دليل على السراية التامة التى يسريها الاسلام فى قلب المؤمن وروحه وعقله وفكره .

★★★★★

ان الاسلام يريد القوة ، فالقرآن يأمر المسلمين بأن يعدوا لأعداءهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل يرهبون به عدو الله وعدوهم ، فهذه القوة التى يريدتها الاسلام قوة تؤيد الحق وتدعمه ، القوة التى تستعمل لاعطاء كل ذى حق حقه ، ولاداء الواجب الانسانى الاسمى الذى فرضه الاسلام على أبنائه .

ان الاسلام دين الرحمة ، و يأمر بالرحمة ، فانه دين أنزله أرحم الراحمين ، وجاء به الى البشرية من بعثه الله رحمة للعالمين . والجمع بين القوة وبين الرحمة والعدل بينهما والانصاف الى مقتضيات كل منهما من أهم المميزات والمعالم التى يمتاز بها الاسلام بين سائر الاديان والنظريات والملل والنحل ، ولا بد للانسانية من استعمال القوة

إذا كانت في حاجة إليها ، وكذلك لا بد لها من الرحمة إذا مست الحاجة إليها . فان اللجوء الى استعمال القوة دائما يؤدي الى ظهور الانظمة الاستبدادية والملوك الجائرين والحكام المضطهدين ، واللجوء الى الرحمة دائما عبارة عن اللاعنفة الغير الطبيعية التي تنادى بها البوذية وتدعى بالايمان بها المسيحية ، ولم تستطع كلاهما أن تصبحا دين الانسانية ونظام الحياة للبشرية . وقد قالت العرب قديما :
وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان

محمود أحمد غازي

